المضاد ، استمرت الوحدة المصرية ــ السورية تترك أصداءها في جميع انحاء العالم العربي . وكان التأثير الاول هو الحرب الاهلية في لبنان والاضطرابات الواسعة النطاق في الاردن ، التي تبعها انقلاب دراماتيكي في العراق . وبطول صيف عام ١٩٥٨ ، بدا مد الوحدة العربية وكأنه لن ينتكس . وقد وصف مالكولم كير ، في دراسته حول دور العقائد في السياسة العربية ، الحالة آنذاك بأنها حالة تولت فيها حركة الوحدة العربية مقاليد القضاء والقدر . كتب يقول :

« كانت موجة الحماسة التي اجتاحت سوريا في بداية الوحدة، والمتمثلة بالجماهير المظفرة التي استقبلت عبدالناصر في دمشق ، والتي شارك بها على نطاق واسع الرأي العام العربي في البلدان العربية المجاورة ، تعكس اعتقادا بأن الاحوال قد قلبت قلبا كاملا ، وبأن المبادرة في الشرق الاوسط قد انتقلت الى حركة الوحدة العربية الثورية ، وبأن شعوب الدول العربية ستنهض قبل مضي وقت طويل ضد حكامها الطغاة وتنضم للاتحاد . كانت هناك حاسة قدر أجبارية في هذا الموقف ... وبلغت توقعات الوحدة العربية أوجها مع الثورة في لبنان ضد حكومة الرئيس شمعون التي ابتدأت في ايار (مايو) ، ثم مع الثورة العراقية في الرابع عشر من تموز (يوليو) التي أنهت الملكية . وللحظة بدا وكأن اليوم المقدر بات قريبا »(٧) .

ولم يأت اليوم المنتظر . فقد أنزل جنود مشاة البحرية الاميركية في لبنان لتدعيم نظام شمعون المتقلقل وأرسلت القوات البريطانية الى الاردن لانقاذ تاج الحسين . كما ان التطورات الداخلية في العراق وضعت ذلك القطر على درب معادية للجمهورية العربية المتحدة . وأوقفت الموجة الوحدوية وتراجع المد حينما وقع انقلاب عسكري في سوريا اخرجها من الاتحاد .

وأدى انهيار الوحدة في أعقاب انفصال سوريا عام ١٩٦١ الى صدم القوميين المقتنعين وتعريض حركة الوحدة العربية لنكسة خطيرة . لقد دامت الوحدة اربعة اعوام كان ينظر اليها خلالها على انها حجر الزاوية لوحدة عربية شاملة ؛ وتسببت ، خاصة بين السوريين ، في ارتفاع مشاعر التضامن الاقليمي في حين كانت تلك المشاعر أقل ما تكون ظهورا في ذلك القطر . لقد عرضت اسباب مختلفة لتفسير انهيار الوحدة. وبين العوامل الكثيرة التي عددت بوصفها مسؤولة عن ذلك الانهيار : الاستياء بين النخبة السورية ، الشدائد الاقتصادية ، التدخل الاجنبي ، المركزية المفرطة ، ضعف الاجهزة الادارية، عدم تعبئة المشاعر الشعبية، وحداثة الفكرة القومية. ومهما يكن من أمر ، فان « اخفاق الجمهورية العربية المتحدة لم يحطم مفهوم الوحدة العربية . بيد انه اشار الى المشكلات العملية التي تنطوي عليها الوحدة »(٨). وتبقى الوحدة المصرية ــ السورية حتى الوقت الحاضر مصدر الهام للقوميين .

لقد قامت عدة محاولات للوحدة السياسية منذ عام ١٩٦١ . ففي عام ١٩٦٣ ، افتتح وفدان يقودهما بعثيون من سوريا والعراق المفاوضات مع عبدالناصر بقصد تأليف اتحاد ثلاثي . الا أن الاتفاق الذي تم التوصل اليه لم ينفذ قط . كما جرت محادثات حول الوحدة بين سوريا والعراق في آب (اوغسطس) عام ١٩٦٣ ، لكن سقوط حزب البعث في العراق في وقت لاحق من تلك السنة انهى المحاولة . ومرة اخرى انهي اتفاق من حيث المبدأ لتوحيد مصر والعراق عندما أطيح بالرئيس عارف . وجرت آخر هذه المحاولات الفاشلة في الثاني من أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧١ ، عندما أسست مصر وسوريا وليبيا اتحاد الجمهوريات العربية . ولا تبشر التطورات اللاحقة لحرب تشرين (اكتوبر) والوضع الراهن للعلاقات المصرية ــ الليبية بمستقبل مشرق لذاك الاتحاد(٩) .